الرسالة

(رومية ٥: ١–١٠)

يا إخوةُ إذ قد بُرّرنا بالإيمانِ فلنا سلامٌ مع اللهِ بربِّنا يسوعَ المسيح* الذي بهِ حصلَ أيضاً لنا الدخولُ بالإيمان إلى هذه النعمةِ التي نحنُ فيها مُقيمون ومفتخرون في رجاءِ مجدِ الله* وليسَ هذا فقط بل أيضاً نفتخرُ بالشدائدِ عالِمين أن الشِدَّةَ تُنشِئُ الصبرَ* والصبرُ يُنشِئُ الإمتحانَ والإمتحانُ الرجاءَ* والرجاءُ لا يُخزي. لأنَّ محبَّةَ اللهِ قد أُفيضت في قلوبنا بالروحِ القدسِ الذي أُعطيَ لنا* لأنَّ المسيحَ إذ كُنَّا بعدُ ضُعَفاءَ ماتَ في الأوانِ عنِ المنافِقين* ولا يكادُ أحدٌ يموتُ عن بارٍّ. فلعلَّ أحداً يُقدِمُ على أن يموتَ عن صالِحٍ* أمَّا اللهُ فيدُلُّ على محبَّتِه لنا بأنَّه إذ كنَّا خطأةً بعدُ* ماتَ المسيحُ عنَّا. فبالأحرى كثيراً قد بُرّرنا بدمِهِ نخلُصُ به من الغضب* لأنَّا إذا كنَّا قد صُولحنا مع اللهِ بموتِ

الله والمال

يقع الفصل الإنجيليّ الذي يُقرأ اليوم (مت ٦: ٢٢–٣٣) ضمن ما يُعرف بالـ«عظة على الجبل». تتقدّم هذا الفصل مباشرة ثلاثيّة الصدقة والصلاة والصوم (٦: ١–١٨)، وتسبقه مباشرةً الدعوة إلى أن يكنز الإنسان كنوزًا في السماء، وليس على الأرض (٦: ١٩–٢١). يشدّد الرّبّ في هذا المقطع الإنجيليّ على أنّ الإنسان الذي يسعى للعيش بحسب وصيّة الرّبّ، من خلال علاقته بالآخر من جهة (الصدقة)، وعلاقته بالله من جهة ثانية (الصلاة والصوم)، لا يمكن أن تتحكّم به أمواله.

قد يظنّ السامع أنّ الآية الأولى من هذا المقطع مستقلّة عن الموضوع الذي يليها: «سراج الجسد هو العين. فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كلّه يكون نيّرًا ...» (٦: ٢٢). غير أنّها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بما قبلها: «لا تكنزوا لكم كنوزًا على الأرض، حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون، بل اكنزوا لكم كنوزًا في السماء، حيث لا يفسد سوسٌ ولا صدأ، وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون. لأنّه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك» (٦: ١٩–٢١). المعيار هو كيف تنظر إلى موضوع المال وما يستتبعه من ضروريّات الحياة. الإنسان المسيحيّ عليه أن ينظر إلى الخيرات المادّيّة كَهِبَةٍ من الله، وعليه استخدامها لمساعدة المحتاج. من هنا، فإنّ الكنز الّذي يكنزه يكون مجازاة الله له، وإذا لم يكن الأمر على هذا المنوال فإنّ ما يجنيه يحفظه لنفسه، وهذا ما يُسمّى بالمجد الباطل الذي لا يكون من الله للإنسان، بل من الإنسان لنفسه؛ إنّه الكنز المخفيّ في الأرض. إستخدام الإنسان للمال من أجل مجده الشخصيّ يستتبع اتّكاله على هذا المال كمصدر لحياته، فيصير المال نفسه سيّدًا على حياته، الأمر الذي عبّر عنه الربّ عندما وصف المال بأنّه إلهٌ، وحذّر الإنسانَ من الاستعباد له. يرتبط الإستعباد بالطّاعة، فيقول الرسول بولس: «ألستم تعلمون أنّ الّذي تقدّمون ذواتكم له عبيدًا للطّاعة، أنتم عبيد للّذي تطيعونه، إمّا للخطيئة للموت أو للطّاعة للبرّ. فشكرًا لله أنّكم كنتم

العدد ٢٤ / ٢٠١٨

الأحد ١٧ حزيران

تذكار الشهيدَين

إيسَفرس ومانوئيل ورفقتهما

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الثالث

عبيدًا للخطيئة ولكنّكم أطعتم من القلب صورة التعليم التي تسلّمتموها» (رو ٦: ١٦–١٧). قد يكون الإستعباد أيضًا لغير المال، كالشهوات مثلًا: «الّذين إلهُهم بطنهم ومجدهم في خزيهم، الّذين يفتكرون بالأرضيّات» (في ٣: ١٩).

إنّ تحذير الرّبّ من أنّه لا يمكن للإنسان أن يخدم سيّدين، الله والمال، قائم على أمر عمليّ. كلّ منهما يأمر عكس الآخر: الأوّل يأمر بالعطاء والثاني بالأخذ؛ الأوّل يأمر بالإهتمام بالمحتاج والثاني بالإهتمام بالنفس من خلال تجميع المقتنيات... فكيف للإنسان أن يوفّق بينهما؟ لا يعني هذا أنّ الرّبّ ضدّ الغنى والأغنياء بالمطلق، ولنا في الكتاب المقدّس أمثلة عديدة في هذا الإطار. أيّوب الصدّيق كان غنيًّا، ويُعتبر غناه فاحشًا بحسب وصف الكتاب المقدّس، لكنّه لم يكن خادمًا لماله، لذلك لم يتأثّر بفقدانه لكلّ ما يملك، أي لم يفقد رجاءه بالله، بل كان مدركًا أنّ كلّ ما كان له هو من الله: «الربّ أعطى والربّ أخذ، فليكن اسم الربّ مباركًا» (أي ١: ٢١).

تجدر الإشارة إلى أنّ الرّبّ يسوع، عندما يعطي صفة الربوبيّة للمال، لا يشير إلى عظمته بل إلى مستوى الخادم الّذي يضع نفسه أمام ما هو جامد ويعامله كإله. كيف للإنسان المخلوق على صورة الله ومثاله أن يصغّر نفسه ويخضع لأعمال يديه، في حين عليه أن يسود عليها ويستفيد منها. الإنسان، بتأليهه المال، يعرّض نفسه لهزء الكتاب المقدّس بالآلهة الوثنيّة التي هي من صنع الإنسان نفسه: «أصنام الأمم فضّة وذهب عمل أيدي الناس. لها أفواهٌ ولا تتكلّم، لها أعينٌ ولا تبصر، لها آذانٌ ولا تسمع، كذلك ليس في أفواهها نفس. مثلها يكون صانعوها وكلّ من يتّكل عليها» (مز ١٣٥: ١٥–١٨).

أن يكون الإنسان خادمًا للربّ ومطيعًا له، يعني أن يكون متّكلاً عليه، ومدركًا أنّه قادرٌ على الاهتمام به. كيف لا وهو يهتمّ بخليقته: «أنظروا إلى طيور السماء، إنّها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماويّ يقوتها. ألستم أنتم بالحريّ أفضل منها؟... ولماذا تهتمّون باللّباس؟ تأمّلوا زنابق الحقل كيف تنمو، لا تتعب ولا تغزل، ولكن أقول لكم إنّه ولا سليمان في كلّ مجده كان يلبس كواحدةٍ منها. فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويُطرح غدًا في التنّور يلبسه الله هكذا أفليس بالحريّ جدًّا يلبسكم أنتم يا قليلي الإيمان؟» (مت ٦: ٢٦–٣٠).

إنّ قلّة الإيمان هي التي تؤدّي بالإنسان إلى التّفتيش عن أمر حسّيّ يعتمد عليه، فتتزعزع ثقته بالله. لذلك تدعونا الكنيسة المقدّسة للعودة إلى أحضان الله، وتثبيت ثقتنا بخالقنا المعتني بنا، والسعي إلى الدخول تحت سلطته هو، أي إلى دخول ملكوته السماويّ: «أطلبوا أوّلاً ملكوت الله وبرّه، وهذه كلّها تزاد لكم» (مت ٦: ٣٣).

التبرير بالإيمان

يرتكز لاهوت الرّسول بولس، في رسائله، على موضوعٍ محوريّ وأساسيّ هو التبرير الّذي حصل عليه الإنسان بذبيحة الرّبّ يسوع ابنه ونحن أعداءٌ فبالأحرى كثيراً نخلُصُ بحياتِه ونحنُ مصالَحون.

الإنجيل

(متى ٦: ٢٢–٣٣)

قال الربُّ سراجُ الجسدِ العيُن. فإنْ كانت عينُك بسيطةً فجسدُك كلُّهُ يكونُ نيّراً* وإن كانت عينُك شرّيرةً فجسدُك كلُّهُ يكونُ مُظْلماً. وإذا كان النورُ الذي فيك ظلاماً فالظلامُ كم يكون* لا يستطيع أحدٌ أن يعبُدَ ربَّينِ لأنَّهُ إمَّا أن يُبغِضَ الواحِدَ ويُحِبَّ الآخَرَ أو يلازِمَ الواحِدَ ويَرْذُلَ الآخر. لا تقدرون أن تعبُدوا اللهَ والمالَ* فلهذا أقولُ لكم لا تهتمُّوا لأنفسِكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادِكم بما تلبَسون* أليستِ النفسُ أفضلَ مِنَ الطعامِ والجسدُ أفضَل من اللباس* أنظروا إلى طيور السماءِ فإنَّها لا تزرعُ ولا تحصدُ ولا تخزُنُ في الأهراءِ وأبوكم السماوي يَقوتُها. أفلستم أنتم أفضلَ منها* ومَن منكم إذا اهتمَّ يقدِرُ أن يزيدَ على قامتهِ ذراعاً واحدة* ولماذا تهتمُّون باللباس. اعتَبِروا زنابقَ الحقلِ كيف تنمو. إنَّها لا تتعبُ ولا تَغْزِلُ* وأنا أقولُ لكم إنَّ سليمانَ

نـفسَـهُ في كـلِّ مجدِهِ لم يلبَسْ كواحدةٍ منها* فإذا كـان عشبُ الحقـلِ الـذي يوجَدُ اليومَ وفي غدٍ يُطرَحُ في التنُّورِ يُلبِسهُ اللهُ هكذا أَفلا يُلبِسُكم بالأحرى أنتم يـا قـلـيـلي الإيمان* فـلا تـهتـمُّوا قائلين ماذا نـأكلُ أو مــاذا نشــربُ أو مــاذا نلبَسُ* فإنَّ هذا كلَّهُ تطلُبهُ الأمم. لأنَّ أباكم السماويَّ يـعلـمُ أنَّكم تحتـاجون إلى هـذا كـلِّـه* فـاطلـبـوا أولاً ملكوتَ اللهِ وبِرَّهُ وهذا كلُّهُ يُزادُ لكم.

تأمل

«اطلبوا أولاً ملكوت الله وبِرّه».

أنظر كم من قِلاعٍ وقصـور مـلـوكٍ وحكّـام وزعـمـاء هـي متراكـمـة أنـقـاضـاً! فكّر في القـوة والغِنى اللذين كانا لديهم في ذلك الوقت! أمّا الآن فقد نُسيت أسماؤهم.

ألا تكفيك هذه؟ فكّر إذاً في مـا سـتـكـون قـيـمتك عندمـا تـرقد؟ ألا يستـطيع حــيــوان صــغير جداً أن يقتلك؟ نعم، كثيرون ماتوا هكذا وهم نائمون، حقاً إن حياتنا معلّقة بخيطٍ رفيع ينقطع وينتهي كلّ شيء.

فكّر هكذا ولا تنخدع بـالجمال والـغِنـى والمجد والملـذّات، ولـيشـغـلك أمر واحد فقط: أين تنتهي كلّ على الصليب. تعني كلمة «تبرير» إعـفـاء الشخص مـن أيّ تـهـمـة أو ذنب، أي اعـتـبـاره غـيـر مـذنب، وتـالـيًـا تـبـرئـتـه أو الإقـرار بـبـرّه ومعاملته من هذا المنطلق. بمعنى آخـر، لـقد نـال الإنسـان غـفـران خطاياه بموت المسيح على الصليب.

بعد أن عصى آدم الله وطُرِد من الفردوس، أظلمت الصورة الإلهيَّة فيه، وملأت الخطيئةُ الأرض. فما كـان مِـنَ الـلـه، خـالـق كلّ شيء والبارئ الكلّ، إلاّ أن يتجسّد ويتألّم ويموت ويقوم من بين الأموات من أجـل تـجديد صـورة آدم السـاقـط وإعـــادتـــه إلـــى الـــفـــردوس، أي خلاصه. كان الصليب أداة العودة، وكان الدّم المسفوك على الصليب كفّـارة لـنـا: «ودم يسوع المسيح ابنه يطهّرنا من كلّ خطيئة» (١يو ١: ٧)، «الّذي فيه لنا الفداء بدمه، غفرانُ الخطايا، حسب غنى نعمته» (أف١: ٧). هـذا الـعـمـل الـخلاصيّ الـذي أتـمَّـه المسيح كـان عـامًّـا وشاملاً. جاء المسيح لليهوديّ كما للأمميّ، للرجل كما للمرأة، للطفل كـمـا لـلشـيـخ، جـاء يطلب الأثـمـة ليقدّسهم له، جاء من أجل الجميع ليجعلهم أبناءً لله أخصّاء.

كان الناموس، في العهد القديم، يساعد الإنسان على كشف خطاياه من دون أن يغيِّر شيئاً في جوهر الإنسان فلا يصبح ميالاً إلى عمل البرّ. حاول كثيرون من شخصيّات العهد القديم أن يتبرّروا في أعين أنفسهم، ظانّين أنّ البرَّ يكمن في انتسابهم لإبراهيم أبيهم جسديًّا أو فـي حـفـظـهـم حـرفـيًّـا لأعـمـال الـنـامـوس أو في انـتـمـائهم لشعب الـلـه الـمـخـتـار أيًّا كانت حياتهم. كانت النتيجة أنّهم سعوا وراء برِّ الـنـامـوس الـذي يـقوم على الحفظ (رو ١٠: ٢–٥). لم يفهموا أنّ هدف الـنـامـوس أن يشعـروا بضـعـفـهـم وعجزهم واحتياجهم لمخلّص. ظنَّ الفريسيّ، بعد صلاته في الهيكل، أنّه تبرَّر أمام الله، إذ افتخر بحفظه لـلـنـامـوس وتـطـبـيـقـه. أمَّا الشابّ الـغـنـيّ، فـلـمَّـا الـتـقـى المسيح بعد تطبيقه كلّ الوصايا، سأله: «ماذا أعـمـل لأرث الـحـيـاة الأبديَّـة؟» (لو ١٨: ١٨). بـعـد أن ظـنَّ أنَّـه أكـمـل الشريعة، قـال لـه الرّبّ إنّ تطبيق الـنـامـوس لا يـأتـي بـالـكـمـال ولا يـمـنـح الـتـبـريـر. جاء جواب يسوع غير متوقَّع: «بِع كلّ ما لك وتعال اتبعني...» (لو ١٨: ٢٢). الله يطلب شيـئًـا آخـر فـي جـوابـه هـذا، شيئًا يتخطّى الناموس المكتوب.

لـم يستـطـع الإنسـان أن يتبرَّر بالطبيعة (بالناموس الطبيعيّ) ولا بالناموس الموسويّ. يرى الإنسان فـي الشريـعـة وسيـلـة للتبرّر أمام الله، ويتناسى أنَّ هذا غير ممكن مـن دون عـمـل الـلـه الـخـلاصيّ. لا يؤدّي ناموس موسى للخلاص، بل كان «مؤدّبنا إلى المسيح» (غل ٣: ٢٤)، وكـان الـنـاس يـمـتـنعون عن ارتكاب الخطايا خوفًا من عقوبات الـنـامـوس. أمّـا برُّ المسيـح فـهـو تـجـديدٌ شـامـلٌ لـلـحـيـاة وتـطـهـيـرٌ للضمائر بدم المسيح (عب ٩:١٤). المسيح قدَّم نفسه ذبيحةً من أجلنا ونحن بعد خطأة (رو ٥: ٨). هو بـارّ، وهذا يعني أنَّه قدّوس وصادق في وعده لنا رغم أنّ البشريَّة لم تتجاوب مع عمله الخلاصيّ.

الشرط الأسـاسـيّ لـلـتبرير هو الإيـمــان. مــا هــو الإيـمــان؟ هـو التجاوب الذي يقيمه الإنسان مع كـلـمـة الـرّبّ. يـقول الرسول بولس: «لأنَّـك إن اعـتـرفـتَ بـفـمِـكَ بـالـرّبّ يسوع، وآمنتَ بقلبكَ أنَّ الله أقامه مـن بـيـن الأمـوات، خَلَصت. لأنَّ القلب يؤمَن به للبرّ والفم يُعتَرف

بـه للـخلاص» (رو١٠: ٩–١٠)، «إذًا، الإيمان بالخبر والخبر بكلمة الله» (رو ١٠: ١٧). ليس الإيمان مجرّد الإعتراف بيسوع المسيح ربًّا، بل الإقتداء به. يقول أحد اللاهوتيّين: «الإيمان بيسوع يعني اتّخاذ طريقة يسوع في التبرير»، أي كما أنّ الله جعلنا أولاده بالتبنّي، كذلك علينا أن نجعله أبًا لنا في حياتنا، ويقول لاهوتيّ آخر: «برّنا هو أنّ الله تبنّانا».

الإعتراف بالإيمان بيسوع المسيح فقط لا يجعل الإنسان مخلّصًا كما تقول بعض الجماعات: «آمنِ تخلص»، ولا أعمالك فقط تخلّصك. الأعمال الصالحة ليست شرطًا للتبرير إنّما هي نتيجة التبرير. الإيمان ليس موقفًا يتّخذه الإنسان في حياته بل هو حياة يعيشها ويُظهرها من خلال أعماله. أن تؤمن بالرّبّ يسوع يعني أن تطيع كلمته وتطبّق وصاياه ليس كما في ناموس العهد القديم بل بناموس المحبّة. تكون هذه الطاعة من خلال محبّة الإنسان لأخيه: «لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلاّ بأن يحبَّ بعضكم بعضًا لأنّ مَن أحبَّ غيره فقد أكمل الناموس... المحبّة لا تصنع شرًّا للقريب، فالمحبّة هي تكميل الناموس» (رو ١٣: ٨ – ١٠).

هذه الهبة المجانيَّة التي منحنا إيّاها الله، نعمة الفداء الّذي أنجزه يسوع المسيح، ليست تنازلاً من قِبَل الله وليست مجرّد عفوٍ عامّ، بل هي نتيجة رحمة الله ومحبّته لنا، ليخلّص آدم الساقط بالإيمان بابنه يسوع المسيح «الذي قدَّمه الله كفّارة بالإيمان بدمه لإظهار برِّه من أجل الصفح عن الخطايا السّالفة» (رو ٣: ٢٥). هذه الهبة تجعل الإنسان جديدًا في تعامله مع الله كأبٍ وابنه: «انظروا أيَّة محبَّةٍ أعطانا الآبُ حتَّى نُدعى أولاد الله» (١يو ٣: ١). لا يحدث هذا بالسِّحر إنَّما يتحقّق فينا، في تصرّفاتنا وانفعالاتنا، في تحرّرنا من أنانيّتنا ومجدنا الذاتيّ، وفي تعلّقنا بإيماننا الفعليّ بيسوع المسيح. الإيمان هو المدخل، لكن بعد الإيمان هناك جهاد مطلوب كي لا نعود لحياتنا السابقة ولخطايانا القديمة، بل نحيا حياةً جديدةً نقيَّة بعد أن لبسنا المسيح في المعموديّة. عندئذٍ فقط نحصل على سلام الله.

يقول القدّيس سلوان الآثوسيّ: «إنّ الرسل أسلموا أنفسهم بالكليَّة إلى المشيئة الإلهيّة، إنّنا بهذه الطريقة نحفظ السلام... السيّد يحبّنا لذلك ليس لنا أن نخشى شيئًا ما عدا الخطيئة لأنّنا بالخطيئة نفقد النّعمة... يا سيّد، إمنحنا السلام كما منحته لرسلك القدّيسين الأطهار قائلًا: سلامي لكم، سلامي أعطيكم. يا سيّد إمنحنا نحن أيضًا أن ننعم بسلامك. إنّ الرسل القدّيسين الأطهار أخذوا سلامك ونشروه في العالم كلّه، وإذ عملوا لخلاص الشعوب لم يخسروا هذا السلام، بل لم ينقص فيهم. المجد للسيّد لأنّ حبَّه عظيم وكبير لنا وهو يمنحنا سلامه ونعمة روحه القدّوس».

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

هذه. أتتعجّب لكلّ ما ترى هنا على الأرض؟ إنّ ما يستحقّ الإعجاب هو ذلك المذكور في الكتب المقدسة.

دلّني على زعيم كبير أو غني يلبس ثياباً فاخرة عندما تكويه الحمى ويصارع الموت، عندئذٍ سأسألك: «أين هو ذاك الذي كان يعبر السوق متباهياً ومتكبراً ومعه أتباع وحرّاس؟ أين هو ذاك الذي كان يلبس ثياباً باهظة الثمن؟ أين هي فخامة حياته، وترف ولائمه، وخدّامه، ومعاونوه، وضحكاته، ورخاء حياته، وبذخه؟»، كلّها ذهبت وتبخّرت. ماذا حدث للجسد الذي كان يستمتع بكلّ هذه اللذة؟ إقترب من القبر وانظر الغبار والنتانة والدود انتقل بفكرك إلى دود الحياة الأخرى الذي لا ينام، وصرير الأسنان، والظلمة الأبدية، والنار التي لا تُطفأ، والعقابات المرّة التي لا تُطاق والتي لا نهاية لها. هنا على الأرض يأتي وقت وتنتهي الأمور الحسنة والسيئة عاجلاً أم آجلاً، لكن هناك تستمرّ الحسنات والسيئات بشكل مختلف عمّا كانتا عليه في هذا العالم.

القديس يوحنا الذهبي الفم